

المقدمة

لم يكن أحد ممن عارضوا فن القصة في مبدأ الأمر يتوقع أن تكتب لها تلك المكانة، بحيث استطاعت أن تسابق الشعر وتسبقه، وأصبح لها جمهور كبير يتطلبها في الصحافة والكتب، وزاد عدد مؤلفيها، وتنوعت أشكالها ما بين شكل يحرص على تقاليدھا الأولى، وشكل يخرج على هذه التقاليد، في محاولات متنوعة تنوع فلسفتها الجمالية التي تكمن وراءها.

وهذا الكتاب رصد للاتجاهات التجديدية في القصة القصيرة يسبقه فصل صغير عن الشكل التقليدي، يكشف عن ظروفه التي يلاقيها، ويومئ إلى مستقبله.

وكما أن الشكل التقليدي قد انحرف عند البعض إلى مجال التسلية وتكلس عند آخرين، فكذلك الشكل الجديد قد أصيب عند البعض بتشتت التصميم، وضياعه في بحر

من الغموض والهلالية، وأصيب عند آخرين بنوع من التقليد للجديد، والشغف بتصيد مواقف الغثيان، وحشد صور الكوايس والرعب.

ولكن هذا لا يعنى أن العيب فى «الجديد» لذاته فنقل على أنفسنا تيار المعاصرة، فشيئان يضمنان الخلود: الموهبة والاستجابة لمنطق التجديد. إننا نقرأ لطرفة أو للمتنبى أو للمعري فتصيينا جذوة الفن عندهم بالاتقاد والحرارة، وتخلق فينا حالة قريبة من الحالة التى كان عليها المتنبى أو المعري، ونتحده معهم فى عالم هو عالم الفن، على الرغم من البعد الزمنى والحضارى.

قد نمتع بعالم المعري أو طرفه، أكثر من متعتنا بقصائد لشاب معاصر تخلو من التفرد والابتكار، وإن حاول صاحبها أن يكس عليها من الأشكال الجديدة وأن يلتمس لها وسائل التجميل من هنا وهناك. ولكن لاشك أن موهبة كموهبة المعري أو طرفه لو أتاحت لشاب يستجيب للمعاصرة، ومنطق التجديد فإنها ستصير أشد خصوبة، بمعنى أن عالم الفن وإن كانت له استثارته الخاصة، يختلف

باختلاف الزمن الذى يمثل بعدا له أهميته، وهذا الاعتبار لا يحيط من فنية المتنبي أو المعرى فقد أخلصا لزمانها وامتنعا ما فيه، ولكنه يحيط من فنان اليوم إذا افتقده، لأنه حينئذ يفتقد شيئا من زمن اليوم، تمامًا كما يفتقد النبات شيئا من أشعة شمس الصباح، فالحياة للإنسان ليست طلوع الشمس ثم غروبها وإلا لتساوت أمامه كما تتساوى أمام الحجر، من بدء الخليقة إلى نهايتها، ومن أيام المعرى إلى عصرنا. ولكنها تعنى للإنسان بعدا آخر - لا يقل أهمية عن أهمية الشمس للنبات - وهو محتويات ما بين طلوع الشمس إلى غروبها، وهو الشيء الحقيقى الذى لا يلمس، ولكنه يضيف لونا يفرق بين يوم ويوم، وهذا الشيء هو الذى يفرق بين الإنسان والنبات، وبين إنسان أمس وإنسان اليوم. والفنان الذى يريد أن يخلد هو الذى يستطع أن يضيف إلى موهبته الإحساس بهذا الشيء، والاستجابة للمنطق المتجدد مع كل طلوع شمس.

إن المعاصرة أساساً هي الارتباط بالاهتمامات الحضارية، ثم بعد ذلك تتنوع أساليب التعبير تنوع الموهبة، وتنوع الاستكشاف الذى تتوصل إليه شخصية الفنان، وهنا نقطة

التفرد والاختلاف بين فنان وفنان، وهنا المقياس الحقيقي الذى يفصل بين الفنان والمحترف، ومن ثم نجد تنوع المعاصرة عند الكتاب العالمين بتنوع مواهبهم التى لا يجبرها قسر ولا تقليد. إن كافاوييكييت وسفيفو وجرييه وسارتر وكامى وناتالى وفوكنر وفرجينيا وبروست، يصدرن من موقف المعاصرة ويستجيبون للهموم الحضارية المشتركة، ومع ذلك فإن لكل منهم ذاتية وطريقته، حتى إن أوجه الاختلاف تفوق أوجه الاتفاق، لأن الفنان أولاً وقبل كل شىء ذاتية وتفرد.

وهذه الدراسة لا تطبق قوالب مسبقة ومتجاوزة، بل إنها تترك التجربة الفنية تتحدث عن نفسها وتفرض لغتها. ومن هنا لا أفضل شكلاً على شكل، لأن الموقف هو المسيطر وهو الذى يحدد الشكل، ومن ثم لغة النقد. فحين التعرض «للقصة الإقليمية» وقف النقد ضد الاتجاهات التجريدية، لأن الموقف هنا يقتضى شكلاً ينقل نبض الواقع ويتزاحم بالأحداث، ويجسد الإقليم بكل رائحته الشعبية وعبقريته المكانية. وحين التعرض لقصة «الاستكناه الباطنى» وقف النقد ضد الذين يضمنون قصصهم شيئاً من

الواقعية، ويهتمون برسم الشخصية وسرد الأحداث، لأن الموقف هنا يقتضى شكلاً تجريدياً يصبح - في حالة نجاحه - صورة طبق الأصل للباطن، في تدفقه وسيولته.

إن النقد هنا لم يفقد أصالته ولم يتجاف عن المنهجية، ولكنه أباح لنفسه قدرًا من المرونة تختلف باختلاف الموقف، وتتغير لغتها مع تغير الشيء المنقود. ففي الحديث عن «الاتجاهات التقليدية»، كانت لغة النقد تقليدية أيضًا، ومن خلال مصطلحات عن العقدة والشخصية والحدث والصراع والنهاية.. وفي الحديث عن «الاتجاهات التجديدية» لم تكن اللغة من خلال مصطلحات قد حفظت في الموسوعات وكتب النقد، بل كانت لغة متجددة تجدد المشروع الذى يتراءى في ذهن الفنان، فهل استطاع هذا النموذج على الورق أن يكون صورة مثلى للمشروع؟ ولماذا استطاع ولماذا لم يستطع؟.

والموقف هو الذى يفسر أيضًا اختلاف مستوى النقد هنا من كاتب لكاتب. لأن القاص الذى يعرض عمله أمام النقاد يفرض عليه لغة النقد ومستواه. فإذا كان العمل

واهيا فإن مستواه يتسرب إلى لغة النقد، ويصاب الناقد بالبطء والوهن، أما إذا كان قاصاً خصباً فإن الناقد يدخل معه ميداناً واسعاً، تتفجر فيه ينابيع النقد كما تفجرت من قبل ينابيع الفن، ويخوضان معاً - الناقد والقاص - تجربة العصر بإيقاعاته الجديدة، ويقومان بشركة مساهمة يقتسمان فيها الأرباح بالتساوى، أما الشركة المفلسة فكل جهد الناقد فيها أن يتلافى الخسارة ما استطاع، ولكنه لن ينجو منها بالتمام والكمال.